كتابات أعلام وادي ميزاب في الصحافة الإصلاحية الجزائرية (1925-1939)

ـ دراسة تاريخية للأدبيات الصحفية ـ

أ.د. علي غنابزية: قسم العلوم الإنسانية/ جامعة الشهيد حمه لخضر/ الوادي
أ. محمد بوسعدة: قسم العلوم الإنسانية/ جامعة الشهيد حمه لخضر/ الوادي

ملخص:

تتناول هذه الدراسة بعض النماذج لكتابات الأعلام المزابيين في الصحافة الإصلاحية الجزائرية، والتي كانت متأثرة بفكر جمعية العلماء، والدوافع التي جعلتهم يساهمون في مشروعها الإصلاحي، ويشاركون بمقالاتهم في صحافتها، ويطرقون شتى المجالات العلمية والأدبية، ومن أبرز هؤلاء الأعلام الشيخ أبو اليقظان، والشيخ سليمان بوجناح المدعو الفرقد، ورمضان حمود، ومفدي زكرياء، الذين سطروا بأقلامهم نصوصا قيمة في المجال الإصلاحي التربوي والتعليمي، ولاسيما الميدان الأدبي.

ABSTRACT

This study contains some sorts of the great Mzzabies' writings in Algerian reforming press that was affected by thoughts of the the scholars association. In addition to that the motives that made them contribute in its reforming project, share their articals in its journal and tackle many scientific and literary fields. Some of the well known savants are sheikh Abou El

Yakdan, sheikh souleiman Bou Djanah who known as El Farked, Ramdane Hamoud and Moufdi Zakariya who wrote precious passages in the pedagogical educational reforming fields and especially the literary one.

مقدمة:

إن تطور الوعي في نفوس الجزائريين، مر بمراحل عديدة، وممهدات سابقة، ساهمت في بلورة الفكر، ورسخت معالم الهوية في الأجيال الجزائرية، ومن هذه الممهدات ظهور الحركة الإصلاحية في العشرينيات، وإصدار الصحف السيارة، وأهمها المنتقد التي أسسها ابن باديس سنة 1925، ثم الشهاب، ووادي ميزاب التي أصدرها أبو اليقضان سنة 1926، وتطور العمل الإصلاحي بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، والتي أنشئت كتحدي قوي للاستعمار الفرنسي الذي فرض نفسه على الجزائريين طيلة ردح من الزمن، حيث أقام في سنة 1930م، أكبر احتفالية على مرور قرن من النشاط الاستعماري في الجزائر، ولكن التظاهرة فشلت، وأعقبها تأسيس جمعية العلماء لتتولى ـ إلى جانب أنصار الاتجاه الاستقلالي ـ مسؤولية تكوين الوعي الثوري لدى الجزائريين بطريقتها وأسلوبها الخاص.

ونشأت الجمعية، بعد عودة أقطاب العلم والإصلاح من المهجر، ولاسيما الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والشيخ السلفي الطيب العقبي إلى الجزائر، وعزمهم على القيام بإنجاز تاريخي يوجه حركة التاريخ الجزائري نحو المسار الإيجابي [1].

فقد قامت جمعية العلماء بنشاط مكثف على مستوى القطر الجزائري، بتوجيه الشعب ومحاربة البدع والخرافات المنتشرة، وتعليم مختلف الطبقات الاجتماعية، وإنشاء المدارس لتنشئة الجيل على القيم الإسلامية الصحيحة، وكما قامت بنشاط صحفي كبير بتأسيس الجرائد والمجلات التي كانت تبث بها الوعي في صفوف الجزائريين، بما تخطه أنامل العلماء والمثقفين من كلمات هادفة، ومواعظ هادية.

وهكذا أبهرت الجمعية مختلف شرائح المجتمع الجزائري بما كانت تقوم به من جهود وأنشطة، مما جعل الشعب يلتف حولها، ويلتحق بركابها، العلماء والمثقفون، فيقول ملك بن نبي عن المشروع الإصلاحي لجمعية العلماء: "وهكذا أتيح للإصلاح أن يمسك مقاليد النهضة الجزائرية، وأمكنه أن يبعثها خلقا آخر بالروح الإسلامية التي تخلصت من كابوس الأوثان..."[2].

ومن الذين ساهموا في الجمعية منذ انطلاقتها الأعلام والشيوخ المزابيون، بتولي المسؤوليات في هياكلها الإدارية والكتابة في صحفها، فكتبوا مقالات متنوعة في جرائدها الدوارة، سعيا منهم في دعم المشروع الإصلاحي النهضوي، وأبرز الأعلام المزابيين الذين تركوا بصمة في صحافة الجمعية ،الشيخ أبو اليقظان، والشيخ سليمان بوجناح المدعو "الفرقد " ومفدي زكريا، وكل منهم خط بقلمه مقالات أفاد بها متتبعي صحافة الجمعية.

ومن هذا المنطلق تبرز إشكالية هذه الدراسة على الشكل الآتي: إلى أي فترة يعود تاريخ ظهور الحركة الإصلاحية في وادي مزاب؟ ومتى عرف الإصلاح ظهوره المتميز لدى مجتمع وادي ميزاب ؟ ومن هم رواد الحركة الإصلاحية المزابيون؟ وهل انخرطوا في جمعية العلماء وساهموا في إدارتها وأنشطتها؟ وما هي أهم الكتابات لدى المزابيين في صحف

جمعية العلماء، والصحف التي تتقاطع مع خطها الفكري؟، وما هي المجالات التي كتبوا فيها؟ وتتم الدراسة بتتبع الأدبيات والأفكار التي تضمنتها مقالات الإصلاحيين الميزابيين.

أولا: جذور الحركة الإصلاحية في منطقة وادي مزاب:

يرجع أغلب الدارسين لتاريخ منطقة وادي مزاب، زمن ظهور الحركة الإصلاحية بالمنطقة ـ بصورة جلية ـ إلى منتصف القرن العشرين؛ بينما تعود إرهاصاتها أو جذورها الأولى ، إلى القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، ويؤكد ذلك محمد علي دبوز قائلا:" إن أول عالم مصلح هز وادي ميزاب ليستيقظ من نومه، وأشرق فيه بعلمه وإصلاحه ليقشع عنه الظلام الذي يكلكل عليه، وأخذ بيده ليجتذ به من ضلالة الغارق فيه، هو العلامة الجليل المصلح الشيخ أبو زكرياء يحي بن صالح الأفضلي" [3] ، وقد مهد هذا الشيخ للحركة الإصلاحية،

والنهضة العربية الإسلامية ، التي ظهرت ـ لاحقا ـ في منتصف القرن العشرين.

لقد برزت الحركة الإصلاحية بوضوح في عهد تلاميذ قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، الذي قام ببعث النهضة العلمية والإصلاحية من خلال الجهود العلمية والثقافية التي بذلها لإنقاذ منطقة وادي مزاب من التخلف الحضاري والركود الفكري، وواصل تلاميذه من بعده تلك الجهود، ويؤكد ذلك أحد الدارسين قائلا:" كما يصح اعتبار عهد القطب عصرا لتعميم فكرة الإصلاح على وادي ميزاب، والتوسيع من رقعتها، بعدما كانت منحصرة في بني يزقن، مسقط رأسها ونشأتها الأولى، وذلك بواسطة

تلاميذه الكثيرين، وبواسطة مريديه ومناصريه، خاصة عندما شهد له بالتمكن العلمي، وبلوغ درجة الاجتهاد في مذهبه ثم في عموم الشريعة"[4].

ومن بين تلاميذه النشطاء، الشيخ إبراهيم بيوض، والشيخ إبراهيم أبو اليقظان، والشيخ عبد الرحمن بكلي (البكري)، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش. ولم تنحصر جهودهم في الإطار المحلي بل تعدتها إلى المجال الوطني والإسلامي، والمؤكد لذلك ما نصه:" انتشر طلبة قطب الأئمة الكثيرون في كل قرى وادي ميزاب وفي أرجاء الجزائر وخارجها، في بعض البلدان الإسلامية وفي التجمعات الإباضية في المغرب والمشرق، وكان لهؤلاء الطلبة الفضل في مواصلة مسيرة شيخهم بعد وفاته حيث حملوا لواء نشر العلم وإشاعة الوعي وبث الإصلاح الاجتماعي والنهوض بالنضال السياسي..."[5].

1) الإصلاح في عهد الشيخ بيوض والشيخ أبي اليقظان:

لقد أسس الشيخ بيوض بمعية الشيوخ الآخرين مؤسسات تسعى لتجسيد الإصلاح في المجتمع وتحارب الجهل والخرافات والبدع التي وجد فيها الاستعمار الفرنسي ضالته لتثبيت وجوده، وتمثلت هذه المؤسسات في معهد الحياة للتعليم الثانوي الذي أسسه في 18 شوال 1343هـ/21 ماي 1925م[6]، وكان يتولى إدارته وتدريس العلوم لطلبته من مختلف قصور وادي مزاب ومن القطر الجزائري، بل كان يتقبل البعثات التي تقدم من خارج الجزائر، ويرسل بالطلبة المتخرجين من المعهد إلى الكليات والجامعات العالمية[7].

وفي إطار مساندة معهد الحياة في مساره العلمي والاجتماعي أسس الشيخ بيوض جمعية الحياة في سنة 1937م[8]، والتي كانت " تشرف على مؤسساتها المدرسة

الابتدائية، نادي الحياة، مكتبة الحياة، وغير ذلك من فروعها وخدماتها ذات الطابع الثقافي والرياضي والفني...".

وكان الشيخ بيوض يتابع الحركات الإصلاحية في أطراف العالم الإسلامي، ويسعى إلى الاتصال بزعمائها وروادها أمثال الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ورشيد رضا وشكيب أرسلان، واستفاد من مناهجهم وأفكارهم ومن كتبهم وآثارهم التي كان يقتنيها ويدرسها، ووجد من يسانده في الحركة الإصلاحية من أصدقائه، ومنهم الشيخ أبو اليقظان والشيخ بكلي عبد الرحمن[9]، ولذلك فإن "هذه العوامل مجتمعة ساعدت الشيخ بيوض على المضي قدما في نهجه الإصلاحي فراح يحارب الخرافات والبدع ويقاوم الجمود والتخلف الفكري بواسطة دروسه في المسجد، معتمدا في تبليغ هذه الرسالة على تفسير كتاب الله وشرح سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والاستفادة من سيرة النبي والصحابة الكرام والاعتبار من نهج السلف الصالح"[10].

أما الشيخ أبو اليقظان فإن آثاره الصحفية قد تجلت بارزة في الصحف التي كان يصدرها وفي الإشراف على البعثات العلمية المزابية إلى تونس، فقد بلغ عدد صحفه ثمانية جرائد حارب بها المستعمر الفرنسي وبثّ من خلالها أفكاره ومشاريعه الإصلاحية، وسميت هذه الجرائد بما يلي: وادي ميزاب، ميزاب، المغرب، النور، البستان، النبراس، الأمة، الفرقان[11]. وصدرت هذه الجرائد بداية من سنة 1926م إلى سنة 1938م[12].

وقد أوضح الشيخ أبو اليقظان أن رسالته الإعلامية هي:" السعي في تكوين الأمة تكوينا صحيحا من حيث الأخلاق الفاضلة، والتفكير الصحيح وذلك بمقاومة الأوهام

والرذائل وبث روح الوئام والتفاؤل بين المتساكنين على خطة الإسلام ضمن الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح"[13].

وكان لجرائد أبي اليقظان خير مساند لصحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي إيصال الرسالة الإصلاحية للمجتمع الجزائري الكبير، وقد اعتبرها الشيخ عبد الحميد بن باديس عضدا متينا لصحيفته الشهاب[14]، وقد أكد أبو اليقظان هذا المسعى بقوله: " إننا نعد الشهاب عضدا متينا لنا وسندا قويا في تحطيم المفاسد والشرور، وهدم الخرافات والبدع"[15].

وحققت هذه الجرائد نتائج كبيرة، مما أدى بالمستعمر الفرنسي إلى محاربتها وتوقيفها وملاحقة صاحبها لما رأى أن استمرار صدور هذه الصحف لا يخدمه ولا يخدم تواجده بالجزائر[16].

أما من حيث جهود الشيخ أبي اليقظان في مجال البعثات العلمية فكانت إيجابية وكبيرة، واستشرافا للمستقبل الزاهر، لأن نتائج هذه البعثات استمرت عبر الأجيال، وساهمت في توسع دائرة الإصلاح في المجتمع، حيث تمكنوا من خلالها في رفع المستوى العلمي والثقافي بمنطقة وادي مزاب، وقاوموا سياسة التجهيل التي كانت تقوم بها الإدارة الفرنسية في أوساط المجتمع، وقد استبشر الشيخ عبد الحميد بن باديس خيرا بتلك البعثات الطلابية لما زارها في مقر إقامتها بتونس، ومن قوله: "...وهاهم أولاد إخواننا المزابية سرى فيهم شعور صحيح فولعوا بالتقدم فأخذوا يتمسكون بأسبابه بجد واجتهاد...وها هم اليوم يسعون في طريق العلم ويرحلون في طلبه وأخلق بهم أن ينالوا منه ما يريدون"[17].

وقد سعى تلاميذ قطب الأئمة لتوحيد جهودهم مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأجل المشاركة في الحركة الإصلاحية والنهضة العلمية الوطنية ليستفيد منها كل ربوع الوطن الجزائري.

2) تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعضوية أعلام مزاب فيها:

شهدت الجزائر ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كان لها دورها الاستراتيجي في نهضة المجتمع الجزائري وخروجه من الثلاثي الخطير (الجهل- والفقر – والتخلف) الذي فرضه عليه المحتل الفرنسي طيلة قرن كامل، وبرزت هذه الجمعية إلى الوجود بتاريخ 5 ماي 1931م، بعد اجتماع عقد بين مشايخ من مختلف مناطق القطر الجزائري، وذلك في لحظة تاريخية حاسمة في تاريخ الجزائر[18].

ويومها لبّى أعلام وادي مزاب الدعوة لحضور الاجتماع التأسيسي الذي عقد في الجزائر العاصمة، وقد كان لهم معرفة مسبقة من قبل بالشيخ عبد الحميد بن باديس وغيره، فيذكر محمد صالح ناصر أن الشيخ بيوض:" قد أحكم الصلات بينه وبين العلماء المصلحين الآخرين في محيط القطر الجزائري من أمثال المشايخ عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي والطيب العقبي وغيرهم..."[19].

وقد رشح كل من الشيخ بيوض والشيخ أبي اليقظان ليكونا عضوين في إدارة جمعية العلماء، ويتوليان منصب نائب أمين المال الذي كان هذا الأخير، يتولاه الشيخ مبارك الميلي[20].

ثانيا: نماذج كتابات أعلام مزاب في الصحف الإصلاحية:

لقد دون أعلام ميزاب في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المقالات المتنوعة، فبثوا من خلالها أفكارهم وآراءهم، وساهموا في بعث المشروع الإصلاحي الذي سارت عليه الجمعية منذ البداية، وقد اشتملت كتاباتهم على المجالات التالية:

أ ـ كتاباتهم في المجال التربوي:

لقد تفاعل الشيخ أبو اليقظان مع مشاريع وبرامج جمعية العلماء، وكانت له مساهمات، بل ترك فيها بصمته الخاصة، بتدوين مقالات في صحفها، وأهمها المنتقد والبصائر، وقد اخترنا نماذج لمقالاته في هذه الصحائف وهي:

مقال في جريدة المنتقد، بعنوان:**معامل العقول**[21]. حيث تطرق الشيخ أبو اليقظان في هذا المقال إلى الاهتمام بالعقل الجزائري، وتوفير ما يمكنه من التثقف والتوسع في العلم والمعرفة، وقد بدأ مقاله بإعطاء مثال من الطبيعة الصامتة، ولكن إرادة الله التي أودعت في الكون والطبيعة سننا فعالة بتلك الإرادة والتقدير، هي نفسها التي وهبت الإنسان مواهب أهلته لتعمير الكون، وقيادة البشر. وقد صاغ أبو اليقظان فكرته، بأسلوب بسيط، فيقول:"كما أن لمواهب الأرض معامل تحولها إلى مرافق الحياة ووسائل الراحة لبني الإنسان، فكذلك للعقول معامل تهذبها وتجعلها آلة لإصلاح البلاد وإعزاز العباد وهي عديدة على ما ترى"[22].

كما أكد على مشروع النهضة العلمية والثقافية، وحدد معالمها، وبين مراكزها المؤثرة، وفضاءات العمل من أجل تجسيدها في حياة الناس، وتصور عناصرها فيما يلي:

1 ـ **المدارس**: يرى الشيخ أن لها دورا مهما في صناعة الفرد وتعليمه وتثقيفه، فالاهتمام بها ـ أو إهمالها ـ يظهر أثره على مستوى العلمي والمعرفي لأفراد الأمة[23]، وقد كان يشاركه في وجهة نظره هذه مصلحين آخرين من منطقة وادي مزاب، وهو ما يؤكده محمد علي دبوز بقوله: " كانت أعمال المصلحين في الجزائر سيما في ميزاب في ذلك العهد منحصرة في ثلاثة أشياء هي قاعدة النهضة وأساسها: فتح المدارس والمعاهد لتربية الناشئة وتثقيفها وتكوين رجال صالحين للوطن، ومحاربة الفساد الخلقي...وكانت التربية والتعليم هي ما يشغل بال زعماء النهضة ويولونه كل عنايتهم..."[24].

2 ـ النوادي والجمعيات الثقافية: مما يراه الشيخ أبو اليقظان ضروريا في بعث الحياة العلمية والثقافية، تكوين الجمعيات والنوادي الثقافية التي تساهم بقسط وافر في تنشيط الرصيد العلمي لدى الطلبة والتلاميذ، ويكمل من خلالها التقارب المعرفي بين الطالب الناجح والراسب، وهو ما يؤكده الشيخ أبو اليقظان في إشارة مركزة: "...تنضج بها معلومات الفائزين وتستكمل بها معارف الراسبين، فيتلاحقون في ميدان العلوم، ويتسابقون في مضمار العرفان"[25].

3 ـ المجامع العلمية: ومن المؤسسات التي يرى الشيخ أبو اليقظان وجوب وجودها في المجتمع، المجامع العلمية التي يلتقي فيها العلماء فيعرضون فيها ما توصلوا إليه من أبحاث ودراسات، وتحدث بينهم المناقشات والمناظرات، ويتم من خلال هذه الجوامع عرض المكتشفات والمخترعات الجديدة التي يتوصل إليها الباحثون والعلماء، مما يكون لذلك بالغ الأثر على الروح العلمية في أوساط المجتمع[26]، حيث يقول:"...فهي ميدان فسيح يتبارى فيه فرسان العلماء لإظهار علومهم وتتناقض فيه العلوم لإبراز ثمرتها وإظهار نتائج أبحاثها من فك المعضلات وإيضاح المشكلات..."[27].

4 ـ المكاتب العامة: ومما يعتبره الشيخ ضروريا لديناميكية الحركية العلمية والثقافية، المكتبات العامة التي تحتوي على نفائس الكتب والمؤلفات، أو تجمع بين صفحاتها علوم ومعارف العلماء والشيوخ السابقين، ومن خلال هذه الكتب والمؤلفات يتم دراسة ومعرفة ما كان عليه السابقون، ليكون منطلقا لمواصلة المشوار إلى الأمام وتجنب تكرار التجربة من الصفر، فيقول عن نفائس الكتب:"...فإنها مجموعة عقول القرون العديدة وخلاصة جهوده فطاحلها ونتيجة قرائها...".

5 ـ الجرائد والمجلات: ويرى الشيخ أن للجرائد والمجلات دورها الجليل في تنشيط الرصيد العلمي والمعرفي للإنسان، حيث يستفيد منها العام والخاص فيقرأها كل قارئ حيثما تواجد، في مكتبه أو في مقر عمله، فتقدم لجمهور القراء فوائد وتخبرهم بالجديد وتنبئهم بالآتي.

تتجاوب الأمم وتتواصل المعارف فيما بينها من خلال الصحافة، فيقول الشيخ عن هدف تأسيس إحدى جرائده قائلا:"...وغايتنا من ذلك ترقية مدارك الأمة، ورفع مستواها المادي والأدبي، وإفادة قرائنا الكرام بما يهمهم من شؤون العالم عموما والإسلامي خصوصا"[28]. وهذا دفع الشيخ إلى إصدار صحف عديدة، وكان صامدا في مواصلة إصدارها رغم التضييق الاستعماري، واصدر أول جرائده سنة 1926،" باسم وادي ميزاب" وأعطاها اسم بلدته تعبيرا عن أصالته ووطنيته، وكانت تطبع في تونس، وتوزع في الجزائر، ويمكنك أن تدرك حجم المعاناة في ذلك الجهد المبذول، والذي أثمر صحفا أخرى، وصلت إلى ثماني صحف أصدرت ما بين 1926-1938. ولم يتوقف طموحه عند هذا الحد، فأسس المطبعة العربية سنة 1931.[29] التي كانت تطبع الكتب ذات الاتجاه الوطني الإصلاحي، لأن صاحبها عضوا عاملا في جمعية العلماء، وارتبط

نشاطه بذلك الاتجاه الداعي إلى النهضة، والبعث الإسلامي للجزائر، والعمل من أجل تحريرها باسم الإسلام والعربية. [30]

6 ـ القيام بالأسفار والرحلات: يرى الشيخ أن ما يكمل للإنسان تكوينه العلمي والمعرفي هو اطلاعه على أخبار الأمم وطرائق عيشها ونظمها ومعارفها، من خلال شد الرحال إليها[31]، مثلما كان الرحالة الأوائل أمثال العلامة ابن خلدون، وقد أكد على هذه النقطة أحد أصدقاء الشيخ المقربين وهو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش[32]، حيث يقول هذا الأخير:" لعمر الحق إن السفر مدرسة عظمى تطبيقية، توجد في الإنسان ملكة يقتدر بها على حفظ مميزاته مما يشاهد من تنافس الأمم في الظهور بها. ويطلع على آداب الأمم واختلافها ومواهب أفرادها وصنائعها، ويعرف سنة الله في الكون، فيكون بذلك بصيرا بأحوال الهيئة الاجتماعية وسياسات الأمم وأغراض حكوماتها ومآلها وعجائب العالم. فبه تتقوى مداركه وتنمو مواهبه وتكثر معلوماته ويقوى على التمييز بين الحق والباطل..."[33].

وبعد تقديم الشيخ أبو اليقظان لشروط النهضة العلمية، يتساءل عن مدى وجود هذه الشروط في الجزائر، ثم يتأسف من عدم وجودها بصفة جدية، وهي موجودة في وضع غير مفيد، ولن تحقق أي نهضة أو تقدم[34].

ويذكر الشيخ أن المسلمين يمتلكون ما يصنع العقول وينمي المعارف والثقافات، إلا أنهم لم يحسنوا استغلاله في أحسن وجه، ولذلك فإنه وجب عليهم أن يصنعوا العقول وينشئوا العلماء وينافسوا الغرب في هذا، لأن هذا الأخير يصدر المنتوج ولا يصدر العقول مهما قدّم له من ثمن[35]، وهو يسعى بكل ما أوتي من قوة وحنكة إلى التوسع في العلوم

والمعارف، والتقدم والاكتشاف فيقول الشيخ:" لئن أمكننا أن نستورد من المصانع الأجنبية ما تصدره من النتائج المادية التي تستجلب موادها من بلادنا العزيزة، فلن يمكن بحال أن نستورد من مصانع عقولهم شيئا من ذلك، فلا حيد لنا إذا من أحد أمرين إما تشييد معامل لعقولنا فيبرز بها ما لدينا من المواهب والمزايا، وإما أن تخمد تلك المادة التي ميز الله الإنسان عن الحيوان إلا بها، فنعيش نحن والحيوان في مستوى واحد"[36].

ويذكر الشيخ أن كرامة الجزائريين وتاريخهم المجيد لن يسمح لهم بأي حال من الأحوال التأخر والتخلف الحضاري، وقد حمّس القراء إلى السير وفق المنهج الحضاري القويم، وكما بشّرهم بأن الشروط الكفيلة لبعث الحياة العلمية والفكرية قد بدأت تظهر تباشيرها في الجزائر[37] وهي تخطو خطوتها نحو التمكين الحضاري، فيقول الشيخ:" فلنتعامل خيرا لمستقبل الجزائر، ولنستبشر يقظتها من سباتها العميق ونهوض شبيبتها، فقد لاح لنا فجر حياتها عندما بدأت تضع الحجر الأساسي لبعض تلك المعامل..."[38].

ومن أهم الشيوخ والأعلام المزابيين، الذين دوّنوا مقالاتهم في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ **سليمان بوجناح** المدعو **"الفرقد"** [39]، وعرف بكتاباته في المجال التربوي، فخط بقلمه مقالات في مجلة الشهاب لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن أبرزها المقال الذي جاء بعنوان: **حركة التعليم بوادي ميزاب**، وقد ورد هذا المقال في شكل حلقات متتالية في أعداد المجلة، حيث افتتحه بذكر الاحتفالية التي شهدها قصر بني يزقن بمناسبة قدوم شهر رمضان المعظم، وما أقيم في هذا الاحتفال وما تحقق فيه، فيقول الشيخ قائلا:" احتفلت الشبيبة في بني يزقن احتفالا بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم تذكارا لفضله وقياما بحقوق مآثره الفاخرة فكان الاحتفال سببا لتعارف الوطنيين من الشبيبة ببعضهم، وتجديد عهد للرابطة الفكرية والعمل المشترك لصالح هذا الوطن

الكئيب. فتذاكرنا فيه مسائل متعددة إصلاحية ومن جملتها مسألة الإصلاح العلمي..."[40].

ثم تطرق ـ الشيخ ـ بعد ذلك إلى وصف حالة التعليم بوادي مزاب في عهده، والشاكلة التي هو عليها، وما هو الشيء الذي يسعى إليه الأساتذة والشيوخ من ترقية التعليم وتحديثه وفق العصر، وذكر أن ما يحتاجه المزابيون هو السعي نحو التمكن في العلم[41]، حيث يقول الشيخ:"...على أن الشعب الميزابي الرصين لم يكن محتاجا إلى قوة ـ وهو في مبدأ حياة جديدة ـ احتياجه إلى سلاح العلم الكفيل لكل من تعزز به من الأمم بإبلاغه الغاية القصوى التي يرمي إليها..."[42].

وأورد بعد ذلك، فضل الاهتمام بالعلم ودوره في صناعة الحضارة، وأن كبار أعلام مزاب قاموا بإدخال إصلاحات في مجال التعليم، من أجل مواكبة الحواضر العلمية الأخرى، وقد أحدثت هذه الإصلاحات نقاشات ومناظرات مفيدة بين هؤلاء الأعلام، فيقول الشيخ:" أذن الله لميزاب أن يخطو إلى حيث العزة والرفاء فثار أهل الحفاظ فيه لإزالة ما علق بنفوس أبنائه من رعونة القدم حسبما تقتضيه واجبات الحرص والصيانة، فابتدأوا بإدخال إصلاحات جديدة في مسألة التعليم الخطيرة، وكان هذا الإصلاح شبه ثورة بين رجال الأمة السلبيين والإيجابيين، فكان لها رجة عظيمة كثيرة المعاني مقفلة الألغاز..."[43].

وقد حركت هذه الإصلاحات ديناميكية الحركة العلمية والثقافية في المنطقة مما أدى إلى ظهور نتائج باهرة لم تكن من قبل، وقد تمثلت في البعثات العلمية المزابية نحو تونس واحدة تلو الأخرى، وتحول الكتاتيب القرآنية إلى مدارس قرآنية [44] وصارت تستقطب

تلاميذ كثيرين، بعد أن تطور الوعي الاجتماعي في المنطقة وأدرك الناس أن من مستلزمات مواكبة الحركة العلمية والثقافية في المنطقة لا يمكن تحققه إلا من خلال هذه الإصلاحات، فيقول الشيخ:" من آثار هذه النهضة البعثات المتتالية إلى تونس الخضراء التي لم يبق في الشمال الإفريقي من لم يحط علما بنتائجها وأدوارها...فأضحت الكتاتيب تتحول مع تحسينات إلى مدارس قرآنية، ولقد أحرزت في هذا المضمار قصب السبق مدينة القرارة، والفضل فيها كله راجع للأستاذين العظيمين الشيخ إبراهيم بيوض والشيخ إبراهيم أبي اليقظان"[45].

ثم ذكر الشيخ "الفرقد" انتقال موجة النهضة العلمية وحركة إصلاح التعليم من قصر القرارة إلى مختلف قصور مزاب الأخرى، وهي العطف ومليكة وبنورة، وقد حضر الشيخ أحد الاحتفاليات بإحدى هذه المدارس، ورأى بنفسه آثار هذه النهضة العلمية على التلاميذ والطلبة[46]، ووصف ذلك في مقاله، ليشهد الناس بحقيقة ذلك بنفسه ويوثقه للتاريخ، فيقول الشيخ عن آثار النهضة العلمية: "حقيقة أن مثل هذا المنظر لما يؤثر في النفس تأثيرا عميقا ويبعث الهمة والنشاط في الأمة إلى الوثوق بالعزيمة..."[47].

وقد قدم الشيخ الفرقد ملاحظته في المجال العلمي لمدير مدرسة بنورة السيد عيسى بن الحاج صالح إدريس اليسجني، المتمثلة في إدراج مادة التاريخ مادة أساسية ضمن مواد التعليم وليس كمادة إضافية، لأن التاريخ كما يقول الشيخ، هو: " أول علم يجب أن يرضعه النشء مع اللبن حتى يمتزج بدمه حب أجداده...وهي القاعدة التي قررها كثير من الباحثين في أسباب التطور والارتقاء سيما أرباب الإصلاح من الأمة الإسلامية..."[48].

وقد واصل الشيخ الفرقد مقاله بنفس الموضوع تحت عنوان: **النهضة الوطنية العلمية في مزاب**، ضمن الأعداد المتتالية لمجلة الشهاب، حيث تطرق في العدد الرابع والثلاثون، في نفس الموضوع إلى مجلس العزابة والهيئات التابعة له وذكر دوره في تسيير الحياة الدينية والعلمية والثقافية في وادي مزاب[49]، فيقول:"درسوا وألفوا وساسوا ونظموا ولم ينفكوا عن العمل كما أنهم لم يحددوا دائرة لأعمالهم ولا لنظراتهم بل كانوا ذوي نفوس كبيرة وبصائر ثاقبة وكانت دائرة أفكارهم واسعة"[50].

وذكر الشيخ جهود رجال هذا المجلس والهيئات التابعة له وما قاموا بها من أجل مواكبة النهضة العلمية والثقافية، والحفاظ على مبادئ الدين الإسلامي، في وقت سيطرت الخرافات وسعى الاحتلال الفرنسي إلى القضاء على مقومات الشخصية العربية الإسلامية، ومن أولئك الرجال الذين ضرب بهم الفرقد المثل في مقاله، وذكر بعضا من جهوده في خدمة المجتمع الجزائري الشيخ محمد بن يوسف اطفيش قطب الأئمة[51]، الذي بلغ صيته العالم الإسلامي، فيقول عنه الفرقد:" ولكن ذكرت إجمالا أولئك الفطاحل والعلماء العاملين فإنه يسرني بهذه المناسبة التخصيص منهم بالذكر قطب الأئمة مجتهد الأمة...الذي حصل على مرتبة الاجتهاد، وحق علينا فوق ذلك أن نسميه بالداهية في السياسة ولو قرناه بالسياسيين الدهاة في يومنا هذا نظرا لما كان عليه الأستاذ رحمة الله تعالى ورضي عنه من الحنكة والتضلع في السياسة، لقلنا إنه السياسي الأكبر"[52]. وقد واصل الشيخ الفرقد مقاله هذا بعنوان النهضة الوطنية العلمية في مزاب في العددين الخامس والثلاثون، والسادس والثلاثون، متطرقا إلى القضايا التي شهدتها مزاب في تلك الفترة كقضية التجنيد الإجباري، وقضية التعليم العصري الحديث.

ب ـ كتاباتهم في المجال الإصلاحي:

قلما تجد جريدة في فترة الثلاثينات بدون نفس من أحد علماء ميزاب، ولاسيما الجزائد التي عرفت بخطها الإصلاحي، وأبرزهم عميد الصحافة الميزابية، الشيخ أبو اليقظان، الذي حرر مقالا في جريدة البصائر تحت عنوان **موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري**[53] وقد افتفتحه، بالتطرق إلى قضية خطيرة، تهدد المجتمع الجزائري، وهي خضوع المجتمع الجزائري لشبح الخرافات والجهل لمدة من الزمن، وسلبيتها المغرية، أنها تحت سيطرة "الزعماء الروحيين" في المجتمع، مما أدى بالمجتمع إلى الدخول في دوامة من الجهل والخرافات والصراعات والفتن، إلى أن بعث الله من خيرة أبناء الجزائر[54] من يصلحون ويوجهون المجتمع الجزائري إلى المسار الإيجابي في حركة التاريخ.

وقد رأى الشيخ أبو اليقظان أن الإصلاح يقوم على مبدأين اثنين وهما: **الإصلاح الديني** و**الإصلاح العلمي**. فيرى في مجال **الإصلاح الديني** أنه يجب على المصلحين محاربة البدع والخرافات وتطهير نفوس الناس منها، ليتسنى إيصال الرسالة الإصلاحية كاملة ودون مجادلة الباطل وأهواء النفوس، ولأن ترك النفوس لسيطرة الخرافات والأوهام يؤدي إلى صعوبة تمرير الرسالة الإصلاحية وتقبلها من طرف الأفراد[55]، فيقول الشيخ: "... وجوب البداية بتطهير النفوس من تلك الخرافات والأوهام وتنقيتها من الزيغ والضلال والعقائد الفاسدة، وإعدادها لتلقي العلوم الصحيحة..."[56].

أما في مجال **الإصلاح العلمي**، فإن الشيخ يرى أنه يأتي في المرتبة الثانية بعد الإصلاح الديني، أي بعد أن تهيأ النفوس لتقبل المشروع الإصلاحي، ولذلك فإن المصلحين الجزائريين، ساروا وفق هذا النهج، ودرسوا مكامن الجهل وسبله إلى داخل المجتمع الجزائري، وقاموا بتجديد العلوم والمعارف القديمة وأحدثوا فيها الجديد[57]، فيقول الشيخ:"...التفت أولئك المصلحون إلى الناحية الثانية ناحية الإصلاح العلمي، فدرسوا

مسارب الجهل إلى جسم الأمة، وكيف تكون مكافحتها، وأساليب العلم القديمة وكيف يكون إصلاحها، وحاجة الأمة إلى الفنون الحديثة وكيف يمكن جلبها..."[58].

وقد قامت مشاريع هؤلاء المصلحين كما يذكر الشيخ على المؤسسات العلمية والثقافية في ربوع القطر الجزائري، فنجحوا في تخريج ثلة من العلماء والمشايخ والأدباء الكبار، بعد أن كاد المجتمع الجزائري يسقط في متاهات الجهل والتخلف، ويفقد مرتبته في صفوف الحضارة[59].

وفي إطار حديثه في المجال الإصلاحي تطرق الشيخ إلى التوقف عند نقطة مفصلية في تاريخ الجزائر، ألا وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي أسست من أجل القيام بالمشروع الإصلاحي والتربوي في الجزائر من طرف ثلة من رجالات الجزائر الأفذاذ، وقد وصلت أمواج الإصلاح المنبثقة من هذه الجمعية إلى كل ربوع الجزائر، وتواصلت أخبارها إلى شرق وغرب العالم[60]، فيقول الشيخ عن المرتبة الذي وصلتها الجمعية: "... لم تمض على إنشائها مدة وجيزة حتى ضربت موجة الإصلاح بها من أقصى البلاد إلى أقصاها، ثم تسامع الناس أخبارها، فكان لها دوي هائل في الشرق والغرب، وكان لها صوت مسموع في أقطار الإسلام، وتفاءلوا من وجودها للجزائر خيرا كثيرا..." [61].

ويذكر الشيخ أن الاستعمار الفرنسي، أدرك أن استمرارية هذه الجمعية سيهدد وجوده في الجزائر، ولذلك سعى إلى محاربتها والتضييق على شيوخها، لكنه لم يستمر على هذا النسق في سياسته، فقد سمح للجمعية بمزاولة بعض أنشطتها التي منعت عنها قبل ذلك بمدة، ولكن هذا لم يكن اعتباطا بل يدخل ضمن استراتيجيات الاستعمار[62].

فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين مستمرة في جهادها الإصلاحي، وإعداد النفوس لمحاربة الاستعمار، ولن تتوانى في عملها، ولن يعطلها عن هذه المهام النبيلة لا الاستعمار ولا المعارضين من الجزائريين، ويؤكد ذلك الشيخ قائلا: " تلك هي حقيقة جمعية العلماء، وتلك غايتها في وضح من النهار ظاهرها باطنها وباطنها ظاهرها لا خفاء فيها ولا لبس، فليفهمها هكذا العقلاء وأنصار الحق، وليخفف المتشائمون من غلوائهم وليريحوا نفوسهم من آلام الهواجس وسوء الظنون وليعملوا مع إخوانهم العاملين يدا بيد وجنبا لجنب"(63).

ومن الأعلام المزابيين الذي تفاعلوا مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتركوا بصمتهم فيها، الشيخ **بوجناح سليمان** المدعو **الفرقد**، الذي دون عدة مقالات في صحف جمعية العلماء، ومن نماذج مقالاته المدونة في جريدة المنتقد: مقال بعنوان: **علماؤنا اليوم** (64) الذي يندرج ضمن الكتابات في المجال الإصلاحي، فقد تناول فيه أحد أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع وبها يفرض وجوده ويستمر تواجده وهم العلماء، وبهم يتم صناعة الحركة التاريخية في مسار إيجابي، ويؤكد هذه النقطة الشيخ قائلا:" العلماء سراة الأمم وأعمدتها فهم لها كالرأس للجسد. نكران جميلهم ـ لعمري ـ هو الكفر بنعمة الله وهم رؤساء الدين ـ ولا فخر ـ يضيئون السبل لإخوانهم ويذكرونهم في واجباتهم يعظون الناس...العلماء زعماء ـ ولا جرم ـ لأن الأمة تعتبرهم أكثر من غيرهم وكلامهم لديها حجة وبرهان يستندون إليه في جميع أفعالهم ويقدسونه لأنه خرج من أفواه ورثة الأنبياء"(65).

إلا أن الشيخ الفرقد تشاءم من العلماء الموجودين في زمانه لأنهم فقدوا معنى لمكانتهم وعلمهم وصاروا وسيلة ويدا طولى للاستعمار في تسلطه على المجتمع الجزائري

بعلمهم أو بغير علمهم، يسيرهم ويتحكم فيهم، فينفذون مشاريعه وسياساته، وأفقدهم ـ نتيجة لذلك ـ القدر والاحترام في أوساط المجتمع، وتخلوا عن مهامهم الحقيقية [66]، وفقدت كلمتهم معاني التأثير على النفوس، فيقول الشيخ:" أصبح كلامهم هذيانا وعظاتهم أصبحت غليانا، تهاونوا بشؤون أمتهم، واكتفوا بالقيام بنصف ما أمروا به من العبادة وضربوا على العمل صفحا"[67].

وقد وجه الشيخ الفرقد نداءه في هذا المقال إلى هذا الصنف من العلماء وذّكرهم بمسؤوليتهم التي تخلوا عنها، وطالب منهم مواكبة النهضة الحديثة، وقد أكد على هذه النقطة الأخيرة بإلحاح، إلى درجة أنك تدرك أن الشيخ كان يوجه رسائله في هذا المقال إلى علماء أنصار تيار المحافظين الذين نبذوا كل جديد وأردوا البقاء والحفاظ على ما هم عليه، حيث يقول الشيخ:" حل في نفوسهم الجمود والإحجام محل النهوض والإقدام، وصاروا حجرة عثرة في سبيل رقي أمتهم، وما من أمر فيه حكمة لفائدة إخوانهم إلا واستنكروه، وربما حرموه ولو لم يكن محرما شرعا وعقلا زعما في أن كل شيء جديد أو متقن فهو بدعة وحرام"[68].

ويفسر الشيخ الفرقد تصرف هذا الصنف من العلماء، بمدى ارتباطهم بالاستعمار، فيرى أن بقاءهم على هذا المنهج القديم من أجل الحفاظ على مناصبهم ومراتبهم، ولذلك فإنهم يفسرون ويطبقون شريعة الله حسب ما يخدم مصالحهم، وما هو في الحقيقة إلا دسيسة من دسائس الاحتلال الفرنسي وقد نفذت من خلال الآخرين، وهو الشيء الذي يؤكده مالك بن نبي بقوله:" إن الاستعمار ما زال في حاجة إلى أقلام يكتب بها، وإلى أبواق يتكلم بها، حتى لا يعرف خطه ولا صوته عندما يخادع الجماهير الطيبة..."[69].

وقد أنهى الشيخ الفرقد مقاله بنداء بالغ إلى علماء عصره يستنجدهم من حال الأمة، ويذكّرهم بعظم مسؤولياتهم أمام الله، فيقول:" أيها العلماء: اصدعوا بما أمرتم به لتجمعوا بين القول والعمل لأن الإيمان لا يتم بالقول دون العمل، امسكوا زمام أمور أمتكم وخذوا يد شعبكم ولا تتركوه وشأنه كأنه ليس منكم ولستم منه، حرام عليكم ـ والله ـ إذ ترونه ضالا حائرا وترون السبيل وأنتم جامدون صامتون. تكلموا وتحركوا وسيروا فإن هذا الزمان تحرك ما فيه حتى الجماد"[70].

ويظهر مما سبق، مكانة علماء ميزاب، وحسن تشخيصهم، وبلاغة عباراتهم، في الذود عن حياض الأمة، ونصرة الحركة الإصلاحية، والدعوة الإسلامية، في وقت عزت فيه الكلمة، وكان الصدع بالقول، كتابة وتدوينا، من أسمى درجات الجهاد والمقاومة الثقافية.

ج ـ كتاباتهم في المجال الأدبي :

ومن المجالات التي كتب فيها أعلام المزابيين في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مجال النثر الأدبي، والشعر، ولاسيما في مجلة الشهاب، ونورد النص النثري للأستاذ **مفدي زكرياء**، في العدد الواحد والستين من المجلة بعنوان: **مناجاة زهرة في أحد بساتين مزاب**[71]، حيث تطرق الكاتب إلى استعمال المجاز والتحدث إلى الزهرة الباسمة، وقد شكى في هذا النثر إلى الزهرة من مجازر الاحتلال الفرنسي ودماره، وأمرها بأن تبقى باسمة ومزهرة [72]، فيقول الكاتب مناجيا الزهرة بقوله:" فارفعي رأسك إلى محيط الرحمة والحنان، وناشديه العطف على تلك الهامات المتدلية وراء حبال المشانق، على تلك الأيدي المقطعة بسلاسل الفظائع البشرية...على تلك الأرواح المتصاعدة من مجازر الإنسانية إلى سماء الأبدية والسابحة في محيط اللانهاية...وأنت محسنة أيتها الزهرة

الباسمة"[73]. فكان هذا النثر عبارة عن تأريخ للاحتلال الفرنسي في الجزائر، ووصفا للفترة التي عاش فيها الكاتب.

والجدير بالذكر ـ في هذا المجال ـ الكاتب الشاعر، والشاب الرومانسي الميزابي، رمضان حمود، الذي اقتطفه المنون عام 1929،[74] قبل بلوغه لعصر جمعية العلماء، ولكنه واكب الشهاب، وكتب فيها النشر، ونشر الشعر، في سلسلة مقالات سنة 1927، حين كتب عن "حقيقة الشعر وفوائده" وهو يشير إلى الحس الجمالي الغائب، أو الذي غيبه الاستعمار بغطرسته وظلمه، والكاتب يقارن بين الشعر والفن، فكلاهما يسكبان الرقة ، ويلامسان الروح، ومما كتبه حمود: " الشاعر والمصور أجيران للفن والجمال، وكلاهما مدين بالإجادة والتدقيق في النظر والبحث، فهذا في المحسوسات وذاك في الروحيات. " ويستطرد في توضيح الصورة في كلا الطرفين، "فكما أن المصور لا يقدر أن يتقن صورته إلاَّ إذا تزود بجانب وافر من الشعور والإحاطة، وكان الشكل أو المنظر الذي يريده أمامه بعيني رأسه، فكذلك الشاعر لا طاقة له على امتلاك العقول والأخذ بأزمة النفوس إلاَّ إذا أجاد تصوير تلك العواطف الهائلة التي تقوم في ميدان صدره الرحب عندما يريد أن يعرب للسامع عن خاطر من خواطره الخاصة أو العامة لا مجرد تنميق وتزوير وتكلف مشين وتعمل بارد وكذب فادح..." ، ويفرق بين الشعر والنثر، وتأثير الشعور، والعمل الذهني عند كل منهما فيقول: " الشعر مسطر بريشة الشعور على صحائف لغات الأمم الخاصة بها سواء كانت متمدنة ومتوحشة... خلاف النثر فانه ابن العلم والتمدن، والشعر هو الذي يهيئ له الطريق." [75]

أما الشعر ففقد برع فيه مفدي زكريا، الذي كتب في مختلف الصحف، ومنها جريدة المغرب لأبي اليقضان، وكان يمضي قصائده باسم مستعار" فتى المغرب"، ويثير فيها قضايا

مهمة في الاختلافات المذهبية والتعصب الطائفي في " جزائر ما أشقاك بالجهل" ، وتمجيد الجزائر وشوق إلى مستقبل لها أفضل في " خفقة فؤاد" ، ومنها تهنئة الأستاذ أبو إسحاق اطفيش عند عودته من منفاه لزيارة أهله بعد غياب طويل في "مهرجان الزعيم الخطير". أما أبو اليقضان فكان يوقع قصائده هكذا"أنا" وأحيانا باسمه الصريح، ومن الشعراء، احمد بن الحاج يحيى، وعدون، وغيرهم. (76)

أما رمضان حمود ، فيكتب شعره في الشهاب، يخاطب "الفتى" ويرفع معنوياته، مما يدل على رسالة الشاعر، ودوره الفعال في بث الوعي في أوساط الناشئة، ومما قال في هذا المضمار:

جهودك يا فخر العروبة عبرة له رنّة في الخافقين تقام

ستبقى على مرّ الدهور منارة على علم، لا يغريك ظلام

ففي سعيك المبرور خدمة أمة عليها خطوب الدّهر يرتمين حسام

حياتك سرّ، سوف يظهر كنهها وفيها لسير الناشئين نظام (77)

هذه بعض النماذج من المقالات التي دونها أعلام المزابيين في صحف الحركة الإصلاحية، وتوجد مقالات الأخرى لا يتسنى المقام لدراستها جميعا، ولكن أغلبها ـ إن لم تكن كلها ـ تنضوي في المجالين التربوي والإصلاحي، وفيها الكثير التي تطرقت إلى قضايا منطقة ميزاب في تلك الفترة، وتعتبر كتابات تاريخية تؤرخ لمنطقة وادي مزاب.

الخاتمة:

تتجلى أهمية الأفكار المدونة في سجلات المجتمعات، في الأثر الذي ينعكس على الساكنة، ويبعث فيها النشاط، ويدفعها نحو التحرر، والنمو الاقتصادي، والتفوق العلمي، وهذا الذي طبع الأعمال الصحفية في الجزائر في فترتي العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي، وكانت مرحلة خصبة، أسست لعصر الكتابة الرسالية، وتم أدراك هذا المعنى، من خلال دراسة النماذج السابقة، التي دبجتها أنامل الأعلام ،وأقلام علماء وادي ميزاب، في الصحافة الإصلاحية، التي نستخلص منها ما يلي:

ـ كان الانتماء الفكري لخط البعث الإسلامي، ومواكبة النهضة الفكرية في الجزائر، إحدى الملامح التي عرف بها أصحاب الأقلام، بمساهماتهم الجادة في تأسيس جمعيات محلية، وكانوا عصبا في جسد جمعية العلماء، وعرفوا بفاعليتهم ونشاطاتهم، وأريحيتهم وحسن أخلاقهم.

ـ يعتبر ابن اليقظان رائدا من رواد الصحافة الإصلاحية، وسندا قويا لابن باديس وإخوانه، فقد بدأ الكتابة في الصحف مبكراً، ولم يشف غليله ذاك السعي الحثيث، فبادر سنة 1926، بإصدار أول حصيفة بعنوان "وادي ميزاب" ذات الطابع الوطني ـ رغم اسمها المحلي ــ وتطرقت لشتى المسائل العلمية والفكرية والأدبية، ولما كتم المستعمر أنفاسها، عوضها الشيخ بأخرى، ولحقت بها أخواتها في المنع والإيقاف، ولكنهن مثلن خطا واضحًا للنضال في سبيل تبليغ الكلمة الصادقة؛ ولعل التحدي الأكبر لديه، تمكنه من تأسيس "المطبعة العربية" في فيفري 1931، عشية إشراق نجم جمعية العلماء، ولعبت مطبعته دوارا محوريا في نشر الكتب والدوريات العربية، طيلة ثلاثين سنة، وحققت المبتغى الذي أسست من أجله، لحماية اللغة العربية ونصرتها، ومواجهة السياسة الاستعمارية التغريبية.

ـ ظهر ثلة من علماء وادي ميزاب ومثقفيها، كان لهم قدم السبق في الكتابة الصحفية، وتطورت اهتماماتهم الملحة لدى المجتمع الجزائري، وأشهرهم الشيخ أبو اليقضان، وسليمان بوجناح المدعو "الفرقد" ، واحمد بن الحاج

يحي، والشيخ عدون، ورمضان حمود، ومفدي زكريا، وغيرهم من الأفذاذ.

ـ اقتحمت أقلام الميزابيين، مجالات فكرية وعلمية وأدبية هامة،ضمن المشروع الإصلاحي الجزائري، وتعتبر من روافد المقاومة الثقافية، وبث الوعي، وتفعيل العمل التربوي في مؤسسات عديدة، وتعدى ذلك إلى المجال الإصلاحي، والذوق الأدبي، الموجه للدفاع عن الهوية، والمساهمة في تربية الوجدان الجزائري.

وما يمكن التنويه به في آخر هذه الدراسة، أن الحركة الإصلاحية التي شهدتها المنطقة ـ وادي ميزاب ـ كانت دافعا قويا لمشاركة أعلام المزابيين في الأحداث التي عرفتها الجزائر، وتفاعلت مع المؤسسات والجمعيات التي قامت في الجزائر ومن هذه الجمعيات المهمة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فآزروها بصدق، وخطوا بأقلامهم في صحفها، فكان هدفهم من كل ذلك، هو الحفاظ على مقومات الشخصية الإسلامية الجزائرية، والحفاظ على وحدة الوطن، ومحاربة الاستعمار، وتمرير الرسالة الإصلاحية إلى أوساط المجتمع الجزائري بأكمله، ولعل ما يؤكد هذه النظرة هو ما قام به التجار المزابيين، وهم الحاج بكير العنق، وأخوه الشيخ الحاج عمر العنق، ومحمد بن بكير رفقة السيد الحاج عباس بن حمانة التبسي بتأسيس أول مدرسة عربية حرة في مدينة تبسة سنة 1913م [78].

الهوامش:

[1] مازن صلاح حامد مطبقاني: **جمعية العلماء المسلمين الجزائيين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1349هـ ـ 1358هـ/1931م ـ 1939م)**، مؤسسة عالم الأفكار، بـ.ط، الجزائر، 2011م، ص59.

[2] مالك بن نبي: **شروط النهضة**، ترجمة. عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بـ.ط، سورية، 1986م، ص29.

[3] محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 2013م، ج 1، ص253.

[4] قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: **معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر (1157هـ ـ 1744م إلى 1382هـ ـ 1962م**، جمعية التراث، ط1، الجزائر، 2011م، ص164.

[5] المرجع نفسه، ص166.

[6] المرجع نفسه، ص211.

[7] محمد صالح ناصر: **الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما**، مكتبة الريام، بـ ط، الجزائر، بـ س، ص15.

[8] يوسف الحاج سعيد: **تاريخ بني مزاب ـ دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية ـ**، بـ. د. ن.، ط2، الجزائر، 2006م،ص317.

[9] محمد صالح ناصر، المرجع السابق،ص ص17 ـ 18.

[10] المرجع نفسه، ص19.

[11] أحمد محمد فرصوص: **الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته**، دار البعث، الجزائر، بـ س، ص119.

[12] عبد الرحمان (البكري)بكلي: **مسيرة الإصلاح في جيل (1918 . 1948م)**، إع وتق. مصطفى باجو، نشر مكتبة البكري، ط1، الجزائر، 2004م، ص103.

[13] محمد صالح ناصر: **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بـ ط، الجزائر، 1980م، ص ص39 ـ 40.

[14] المرجع نفسه، ص40

[15] نفسه، ص40.

[16] – أحمد محمد فرصوص: المصدر السابق، ص119.

[17] عبد الحميد بن باديس: **نهضة جزائرية بالحاضرة التونسية**، ضمن كتاب: مكانة الإباضية في الحضارة الإسلامية، إع. محمد صالح ناصر، مركب المنار، ط2، الجزائر، 2013م، ص211.

[18] أسعد لهلالي: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية (1954 ـ 1962م)**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2011 ـ 2012م، ص27.

[19] محمد صالح ناصر: الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، المصدر السابق،ص19.

[20] أنظر: أسعد لهلالي: المرجع السابق، ص28. مازن صلاح حامد مطبقاني: المرجع السابق، ص79. محمد صالح ناصر: الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، المصدر السابق،ص19.

[21] إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان: "معامل العقول" – في – **جريدة المنتقد**، جريدة أسبوعية، ع18، الجزائر، 1925م، ص1. ضمن مجلد: دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2008م، ص72.

[22] نفسه، ص1.

[23] نفسه، ص1.

[24] نهضة الجزائر الحديثة، ج2، ص179.

[25] إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان:المقال السابق، ص1.

[26] نفسه، ص1.

[27] نفسه، ص1.

[28] محمد صالح ناصر: أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المصدر السابق، ص19.

[29] أنظر: محمد ناصر: **الصحف العربية الجزائرية من 1947 إلى 1939**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1980.

[30] أنظر: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت،1998، ج 5، ص 292.

[31] إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان:المقال السابق، ص1.

[32] **أبو إسحاق إبراهيم اطفيش:** من أبرز علماء وادي مزاب، ولد سنة 1888م، التحق بكتاب بلدته سنة 1311م، ثم التحق بصفوف العلم في الجزائر العاصمة سنة 1910م عند الشيخ عبد القادر المجاوي، ثم التحق بعد ذلك بمعهد عمه الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش (قطب الأئمة)، وفي سنة 1917م سافر إلى تونس إلى الاستزادة في العلم، وكان من المشاركين في تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920م، تعرض إلى الإبعاد من تونس من طرف الاحتلال الفرنسي لنشاطه السياسي. توفي سنة 1965م في مصر. ينظر: الحاج أحمد بن حمو كروم: **الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد اطفيش ـ العالم العامل ـ**، جمعية الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، ط1، الجزائر، 2010م، ص ص6، 9، 10، 15، 17، 40.

[33] أبو إسحاق إبراهيم اطفيش: الدعاية إلى سبيل المؤمنين، المصدر السابق، ص140.

[34] إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان:، المرجع السابق، ص1.

[35] نفسه، ص1.

[36] نفسه، ص1.

[37] نفسه، ص1.

[38] نفسه، ص1.

[39] **سليمان بن يحي بوجناح (الفرقد):** من أحد أبرز الأدباء والصحفيين بوادي مزاب، ولد سنة 1905م، بدأ دراسته بالكتاب بمسقط رأسه، ثم سافر إلى تونس، وبعد عودته إلى الجزائر، التحق بثانوية بوجو بالجزائر العاصمة، شارك في صحافة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وكان من الكتاب البارزين في صحف الشيخ إبراهيم أبي اليقظان، واحد المؤسسين لجمعية الوفاق بالجزائر العاصمة، وكاتبها العام، تعرض للملاحقة وسجن من طرف الاستعمار الفرنسي بسبب نشاطه الصحفي. توفي سنة 1988م. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ص214.

[40] مكاتبكم: الفرقد (سليمان بوجناح): حركة التعليم بوادي ميزاب (احتفال شريف) – في – **مجلة الشهاب**، ع21، عبد الحميد بن باديس، الجزائر، 1924، ص7. ضمن مجلد الأول: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001م، ص415.

[41] نفسه، ص8.

[42] نفسه، ص8.

[43] نفسه، ص8.

[44] نفسه، ص9.

[45] نفسه، ص9.

[46] نفسه، ص9.

[47] نفسه، ص9.

[48] نفسه، ص10.

[49] الفرقد (سليمان بوجناح): النهضة الوطنية العلمية في مزاب ـ 2 ـ في ـ **مجلة الشهاب**، ع34، لمؤسسها عبد الحميد بن باديس، الجزائر، 1924، ص5، 6. ضمن مجلد الثاني: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001م، ص33.

[50] نفسه، ص6.

[51] نفسه، ص6.

[52] نفسه، ص6.

[53] إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان: موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري، – في – **جريدة البصائر**، جريدة أسبوعية، ع1، الجزائر، 1935م، ص5.

[54] نفسه، ص5.

[55] نفسه، ص5.

[56] نفسه، ص5.

[57] نفسه، ص5 ـ 6.

[58] نفسه، ص5.

[59] نفسه، ص6.

[60] نفسه، ص6.

[61] نفسه، ص6.

[62] نفسه، ص6.

[63] نفسه، ص6.

[64] الفرقد (سليمان بوجناح): علماؤنا اليوم ـ في ـ **جريدة المنتقد**، جريدة أسبوعية، ع17، الجزائر، 1925م، ص1. ضمن مجلد: دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2008م، ص68.

[65] نفسه، ص1.

[66] نفسه، ص1.

[67] نفسه، ص1.

[68] نفسه، ص1.

[69] في مهب المعركة، ص83.

[70] الفرقد (سليمان بوجناح): علماؤنا اليوم، المقال السابق، ص1.

[71] مفدي زكريا بن سليمان:مناجاة زهرة في أحد بساتين مزاب ـ في ـ **مجلة الشهاب**، ع61، عبد الحميد بن باديس، الجزائر، 1924، ص10.

[72] نفسه، ص ص10 ـ 11.

[73] نفسه، ص11.

[74] **رمضان حمود**: ولد بغرداية سنة 1906، وعند بلوغه السادسة من عمره، اصطحبه أبوه إلى غليزان، وألحقه بالمدرسة الفرنسية، ولكن نفسه كانت تواقة إلى المزيد من العلم، فسافر إلى تونس في سن السادسة عشرة من عمره ضمن البعثة العلمية، ودرس في عدة مدارس، منها "الخلدونية" و" الجامع الأعظم"، ولكنه رجع إلى مسقط رأسه، وتزوج، وشرع في نشاطه الفكري، واهتم بالكتابة والتأليف، والبحث والدراسة المتأنية، فكتب في جريدة "الشهاب" و"وادي ميزاب" وأصدر كتابه "بذور الحياة" و"الفتى" ، ولكن داء السكر تمكن من جسده، فتوفي في ريعان شبابه سنة 1929. أنظر: عمر بن قينة: **صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 138-139. محمد ناصر: : **رمضان حمود الشاعر الثائر**، المطبعة العربية، ط1، غرداية- الجزائر، 1978.

[75] عمر بن قينة، المرجع السابق، ص 143-144.

[76] أنظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، المرجع السابق، 102-103.

[77] عمر بن قينة، المرجع السابق، ص 145..

[78] محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المرجع السابق،1 ج، ص372.